درب زبيدة في

دراسة تاريخية وأثرية

ملخص البحث :

درب زبيدة هو طريق الحج الاسلامي الواصل بين الكوفة والمدينتين المقدستين ، المدينة المنورة ومكة المكرمة ـ ويعود الفضل بانشاء هذا الطريق الى خلفاء بني العباس الذين أولوه العناية والرعاية ـ فمنذ أن تولى أبو العباس السفاح الخلافة سنة ١٣٢ هـ سارع في بناء طريق الكوفة ـ مكة وذلك لخدمة حجاج بيت الله الحرام وزوار مسجد رسوله صلى الله عليه وسلم . وأكمل كل من أبي جعفر المنصور والمهدي والرشيد ما بداه السفاح . فبنيت القصور والحصون في المنازل الرئيسية والثانوية وعلى طول الطريق بنيت البرك وحفرت الآبار وأقيمت السدود في بعض الأماكن . بالاضافة الى هذه الوسائل الضرورية والهامة وضعت الأعلام والأميال لتحديد معالم ومسافة الطريق . وفي عهد الخليفة هارون الرشيد بالذات لقي هذا الطريق رعاية وعناية من قبل السيدة زبيدة زوج هارون الرشيد ، فقد أنفقت من مالها الخاص مبالغ طائلة في سبيل بناء الكثير من البرك والآبار وتشييد القصور والحصون . وهناك أيضا مسلمون ومسلمات ساهموا في عمارة طريق الحج هذا ياتي في مقدمتهم أمراء البيت العباسي والقادة العسكريون وأمراء الأقاليم .

★ نص البحث منشور بالقسم الانجليزي من المجلة .

العصر العباسي

● د· سعد عبد العزيز الراشد
أستاذ التاريخ بجامعة الرياض

وقد أشرف على بناء واعمار طريق الحج شخصيات اسلامية كانوا بمثابة وزراء ومسئولين عن مرافق الطريق وصيانة العيون والآبار والبرك بالاضافة الى تفقد المشاريع على هذا الطريق · وقد سجل الجغرافيون والرحالة المسلمون كابن رسته وابن خرداذبة والمقدسي وياقوت وابن جبير وابن بطوطة، معلومات غاية في الأهمية عن معالم هذا الطريق · ان أهم المعلومات التي وردت الينا بالتفصيل عن هذا الطريق هي تلك التي وردت في كتاب المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة ، هذا الكتاب الذي قام بتحقيقه وتقديمه للمكتبة العربية علامتنا وأستاذنا الشيخ حمد الجاسر ونسب هذا الكتاب المفيد الى الامام أبي القاسم الحربي · وعلى ضوء المعلومات الواردة في كتب الجغرافيين المسلمين تبين أن هناك ٥٤ (أربعة وخمسين) محطة أو منزلا ومتعشي ، وكل منزل من هذه المنازل توفرت فيه أماكن الاستراحة للمسافرين وزودت بمرافق مياه الشرب وأعلاف لدوابهم وأسواق للبيع والشراء · وقد اشتهر في كتب التاريخ الاسلامي الكثير من هذه المنازل مثل : واقصة ، العقبة ، زبالة ، الثعلبية ، فيد ، سميرة ، معدن النقرة ، الربذة ، معدن بني سليم والمسلح وغيرها ··· وكان بعض هذه المنازل معروف في صدر الاسلام · وعلى هذا الطريق سلكت جحافل الجيش الاسلامي بقيادة سعد بن ابي وقاص متوجهة الى العراق وفارس · وكانت محطة « فيد » مركزا هاما على طريق الحج لأنها تقع في منتصف الطريق بين الكوفة ومكة وكانت حمي منحها الرسول صلى الله عليه وسلم الى زيد الخير رئيس قبيلة طي حينما أعلن اسلامه ·

لقد تمتع هذا الطريق بالأمن والطمانينة في الفترة الأولى للعصر العباسي ، لكنه سرعان ما تعرض لهجمات ضارية من بعض القبائل العربية مثل : بنو سليم ، بنو أسد ، بنو هلال ، بنو شيبان ، عقيل ، خفاجة وحرب ـ بالاضافة الى سيطرة الغزاة القرامطة على جزء كبير من الطريق في أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع الهجريين • وبالرغم مما بذله خلفاء بني العباس المتاخرون من حماية لهذا الطريق عن اخماد حركات القرامطة وكبح هجمات القبائل الا أن الكثير من مرافق الطريق تعرضت للتدمير والتخريب وأصبحت الحكومة المركزية في بغداد تبعث قوة عسكرية مع كل قافلة حج بعدما أصبح الطريق غير مامون • وقد تكرر انقطاع استعمال الطريق من قبل الحجاج القادمين من العراق وبلاد المشرق في فترات مختلفة خاصة في القرن السادس وأوائل القرن السابع الهجريين • وكان لاستيلاء المغول على بغداد ، في سنة ٦٥٦ ﻫ ، سببا رئيسيا في أفول هذا الطريق وقلة استخدامه الا في حالات نادرة أو حينما تتوفر سلطة حاكمة قوية في بغداد تتولى شؤون الحجاج ورعايتهم وحمايتهم •

لقد كشفت الأبحاث الأثرية الحديثة على مدى أهمية هذا الطريق كأثر اسلامي فريد في نوعه • فهناك بقايا القصور والحصون وكذلك البرك والآبار، بعضها لا زال في حالة جيدة للاستعمال • وهذه الآثار الشاخصة والمطمورة ، تعطي حقا فكرة واضحة عن البراعة والاتقان التي توصل اليها المهندسون المسلمون والعمال المهرة وعن الادراك العلمي الذي توصلوا اليه • ومن أهم الآثار البارزة تلك التي وجدت في زبالة ، الثعلبية ، فيد ، سميرة ، ضليع ، الشق ، المسلح وبركة العقيق ••• وقد سارعت وزارة المعارف ، متمثلة في ادارة الآثار والمتاحف ، بحماية آثار هذا الطريق ، وهي تقوم الآن بمسح كافة الطريق وتسجيل كل معالم الطريق الأثرية • وكل جديد يكتشف سيضيف صفحات مضيئة عن تاريخ أمتنا الاسلامية الحضاري •

د• سعد عبد العزيز الراشد
قسم التاريخ ـ كلية الآداب
جامعة الرياض
(سكرتير جمعية التاريخ والآثار)